مشاهد غربية بين العلم والدين

هادي قبيسي

الكلمات المفتاحية: هادي قبيسي، مشاهد غربية، العلم والدين، بولكينغهورن، فرانسيس كولينز، الدين، الكنيسة، اليهودية.

سعيًا منا لاستقراء التجربة البشرية في بحثها عن العلاقة الأمثل بين العلم والدين والتي تستطيع أن تنظم الحياة الإنسانية بشكل يراعي متطلبات وحاجات الفرد والجماعة، نستعرض في هذه الورقة الشديدة الإختصار بعضًا من مقاربات سعت لحل إشكالية العلاقة بين العلم والدين، وهي مقاربات غربية مسيحية بالمجمل، تتنوع في زوايا نظرها وخلفيّاتها وأهدافها، ومنظورها للممكن في هذا السبيل، وتستقصي طرقًا وعرة في هذا الدرب الشاق، غير أنها لا تزال تحمل الأمل وزرًا يفرض عليها الإستمرار في البحث والتقصي عن الأبواب والمفاتيح الممكنة لحل مشكلة الإنسانية، مشكلة المادة والروح. منها مقاربة بولكينغهورن الذي يعتبر أن منشأ الإشكال هو خطأ في القراءة والتحليل، ويجد هذا الإتجاه مؤيدين له في المجتمع العلمي لا تقل نسبتهم عن ثلث العلماء الغربيين. ونرى المؤسسة الدينية المسيحية الأم في الفاتيكان مضطرةً لمقاربة الإشكال الذي عصف أولًا بالنص الديني، الذي اكتشف العلماء في عصر النهضة تعارضه مع بعض نتائج العلم، وتسعى لذلك عن طريق سلوك سبيل عام ومبهم يظلله شعار البحث عن الحقيقية كنقطة تقاطع بدئية بين المجالين. نعرج بعد ذلك إلى مقاربة علمية دينية يقودها قطب علمي غربي هو فرانسيس كولينز الذي تحول من الإلحاد إلى التدين ويطرق باب الإشكال من زاوية طرح سؤال لماذا على الساحة الكونية وهو سؤال يفرض جوابًا دينيًا، الفكر الديني اليهودي له منطقه الخاص كذلك في إحدى مقارباته التي تستند إلى نقاط الضعف الإبستمولوجية في العلم الحديث لتستعيد موقع الدين كمبنى محصن ابستمولوجيًا. نصل إلى رؤية مثالية يطرحها جان مالداميه في أروقة الأكاديمية البابوية للعلوم في الفاتيكان، حيث يجنح إلى طرح رؤية تكاملية تفاعلية بين العالمين دون أن يتلمس السبيل للوصول إلى نقاط التفاعل المباشرة، نتطرق بعد ذلك إلى المسعى المنظم الذي يسلكه معهد أمريكي متخصص في المجال، يحاول أن يمسك أطراف الإشكال في أبعادها الكبرى ويذهب بعيدًا في توسيع عناوين المشكلة في جهد يأمل حلًا جذريًا ونهائيًا، إلى ذلك يذهب معهد آخر إلى طرح رؤية أكثر واقعية وعملانية تبحث في نقاط التفاعل بين المجالين. وأخيرًا، في هذه القائمة العاجلة، نلقي نظرًا نحو الأكاديمية البابوية للعلوم الاجتماعية التي كرست جهودها لتسخير المنتج العلمي الحديث لصالح الطرح الإجتماعي الكنسي ولتحويله من رؤى مثالية وتعاليم قيمية إلى برامج عمل ومشروع واقعي.

(1)

مقاربة بولكينغهورن

يدعو بولكينغهورن، الأب وعالم الفيزياء، إلى ضرورة فض الخلاف المصطنع بين العلم والدين، فهذا الخلاف غير واقعي، وسببه خطأ ما في القراءة والتحليل، إذ أن العلم والدين ينبغي أن يتكاملا في طريقهما للبحث عن الحقيقة، ويدعو بولكينغهورن إلى سلوك سبيل يتمثل بطرح الأسئلة الفلسفية حول وجود العلم من زاوية نظر كليّة كونيّة، بحيث يتموضع العلم في الإطار الديني الذي يحدد هدف الوجود الإنساني والكوني.

ينطلق النقاش الغربي من سياق تاريخي يستند إليه في تحديد نقاط البحث وعناوينه، فالمشكلة الرئيسية المتجذرة تاريخيًا تتعلق بتحديد العلاقة بين العلم والدين كساحتين ثم التوافق على وجود أزمة بينهما منذ عصر التنوير حيث اصطدمت الأبحاث العلمية بالمقولات الدينية.

النقاش في الغرب لا يزال يسير في اتجاهين، الأول يسعى لتثبيت وجود هذه الأزمة في العلاقة، فيما يتجه الثاني نحو إثبات عدم وجودها وانتفائها.

المشكلة في الغرب مزمنة ومتجذرة بحيث يعتبر الأب وعالم الفيزياء جون بولكينغهورن أن المجادل الطبيعي للعلم هو الدين[1]، معتبرًا أنّ العلم يهتم بمعرفة الطبيعة من خلال التجربة، فيما يهتم الدين بمعرفة حقيقة الله. هذا الإختلاف، بحسب تعريفه لكل منهما، دفع بالبعض إلى اعتبارهما يتجهان في سياقين منفصلين.

يحاول بولكينغهورن التوصل إلى التوفيق بين المساحتين عبر الإستدلال على تقارب المنهج، فيعتبر أن على الدين أن يستمع إلى السرد العلمي حول تاريخ الكون وتحديد كيفية ارتباطه بالإعتقاد الديني الذي يقول بأن العالم مخلوق من قبل الله، فإذا توصلنا إلى تناقض واختلاف حاسم، ينبغي علينا أن نقوم بمراجعة ما، ويعتبر كلا الطرفين أن المراجعة ينبغي أن يقوم بها الآخر. بحيث تصل الأمور إلى انتصار حاسم لأحدهما، بما يشكل إغفالًا لحالة التكامل التي تربط هاتين الطريقتين للبحث عن الحقيقة.

[1] Polkinghorne, John, *The Science and Religion Debate – an introduction* / Faraday paper No.1.

دفع هذا الإشكال المستعصي إلى نشوء "الإيمان الطبيعاني"، الذي يُعتبر الأكويني أحد رواده، ويعني الإستفادة من الإيمان بالله، دون الإستناد إلى شريعة لتفسير ما لا يمكن للإلحاد أن يفسره، وذلك في توافق مع السياق العلمي ولكن مع تخفيض نسبة الطموح في الحصول على الإجابات وطرح أسئلة أكثر تواضعًا.

هنا تظهر بوضوح إشكالية الشريعة، فالمشكلة ليست مع الوجود الإلهي بقدر ما هي مع المقولات الدينية التي تناقض العقل.

يحاول بولكينغهورن أن يضيء على محدودية البحث العلمي المندفع خلف منهج رياضي بعيدًا عن الحدس الإنساني بحيث يغفل عن السؤال البديهي لماذا ؟ لماذا العلم ممكن والكشف عن منظومات الكون متاح؟ ولماذا يمتلك الإنسان وعيًا بذاته ووجوده؟

(2)

العلماء المتدينون

التيار الإلحادي يجد له مؤيدين ومؤمنين به في الأوساط العلمية الغربية، ويجادل هؤلاء من زاوية نظر علمية بنظرهم، كلٌ في سياق ولغة اختصاصه العلمي، ليبرروا إيمانهم بعدم وجود الله، ولكن جدالهم هذا يؤكد على عدم ثبات وجهة نظرهم في تلك الأوساط وحتى ربما في الوسط الثقافي الغربي، وتساعدنا الإحصاءات في فهم الواقع الفكري للمجاميع العلمية الغربية، حيث أن ثمة ثلاثة علماء ملحدين من بين كل خمسة في الغرب، وخلال نقاش متلفز بين مجموعة من العلماء، على شبكة nbc [1]، اعتبر أحدهم أن الأسئلة التي تكون الإجابة عليها هي "الله" ليست أسئلة علمية، وأن العلم يستطيع أن يحدثنا عن وصف الكون وليس عن سبب وجوده. اعتبر آخر، خلال النقاش ذاته، أن الدين تطور كآلية للنظم الإجتماعي، وكمصدر للأخلاق، الأمر الذي لم يعد محل حاجة، ونحن نعرف أننا نستطيع القيام بذلك دون الحاجة إلى الله، ومن ناحية أخرى، لدينا تفسير معقول لكيفية وجود الكون من العدم، والعلم أوصلنا إلى عدم الحاجة لوجود الله.

الإنطباع السائد لدينا أن العلماء في الغربي بأغلبيتهم الساحقة هم علمانيون، فهم القوة الضاربة للفكر الإلحادي، وحراس المعبد العلموي، الذي صارع الكنيسة خلال عصر النهضة، غير أن الإحصاءات تظهر لنا مدى الإختزال الذي يطغى على انطباعاتنا، فثمة أربعون بالمئة من العلماء الغربيين هم من المتدينين، الذين يجادلون لصالح

[1] Parry, Wynne, *Science vs God*, NBC news, 12.6.2012.

بقاء واستمرارية دور الدين في تسيير أمور الحياة، وهي ظاهرة لم تحظَ بالتغطية اللازمة من خلال الترجمة، والتواصل، والنقاش الفكري الجاد، الهادف للاستفادة من تجربة هؤلاء العلماء.

(3)

الأكاديمية البابوية للعلوم

تأسست تحت ظل الفاتيكان لمواكبة النشاط العلمي، تحت ظل شعار قيمي عام هو البحث عن الحقيقة، ويتمحور نشاطها في البحث حول نقاط التفاعل والتداخل بين دائرتي العلم والدين، وتحيل بعض اهتماماتها إلى تأثير النشاط العلمي والتطور التقني على ظروف الحياة البشرية. محاولةٌ ترمي لإخضاع المسار العلمي لضروريات الدين والقيم، غير أنها تصطدم بشكل رئيسي بمعضلة المقولات الدينية الواردة في الإنجيل والتي تصف الموجودات الكونية بما يتناقض مع العلم الحديث.

انطلقت أكاديمية لينسي على يد فيدريكو سيسي كتجمّع للباحثين المنخرطين جماعيًا في الأبحاث الطبيعية، ثم جاء جاليلو ليعطيها موقعًا متميزًا وليدخل الميكروسكوب كأداة في عمليات البحث الجارية فيها. عام 1847 ضم البابا بيوس XI أكاديمية لينسي كمؤسسة رسمية للولاية البابوية وصار اسمها الأكاديمية البابوية للينسي الجديدة. عام 1936 حوّل البابا بيوس IX الأكاديمية إلى الحالة الآنية "الأكاديمية البابوية للعلوم"، لتصبح المجلس العلمي للكنيسة الكاثوليكية[1].

تدرس الأكاديمية النشاط العلمي وآثاره الفلسفية، مع تركيز خاص على تداعيات الإكتشافات العلمية على تطور ظروف الحياة البشرية، وتؤسس لقناة مفتوحة على أعلى المستويات بين الكنيسة الكاثوليكية والمجتمع العلمي.

تنعم الأكاديمية بالحماية المباشرة للبابا ولكنها تتمتع بشكل ملحوظ بحرية في تحديد أجندة عملها وتنظيم أنشطتها، ولأجل الوصول إلى أفضل تمثيل للمجتمع العلمي، فإنّ عضويتها غير مشروطة بالإيمان الديني.

عام 1978 وفي خطابه إلى الأكاديمية قال البابا جون بول الثاني: "إن كنيسة روما، وكل الكنائس المنتشرة حول العالم، تعطي أهمية كبرى لنشاط الأكاديمية البابوية للعلوم. كيف يمكن للكنيسة أن تقصر في اهتمامها بأكثر

[1] Cabibbo, Nicola, *The Meaning of The Pontifical Academy of Sciences*, From: The Four-Hundredth Anniversary of the Pontifical Academy of Sciences, 2003, P : 115.

المساعي الإنسانية نبلًا، البحث عن الحقيقة؟ إن كلًّا من العلماء المتدينين وغير المتدينين منخرطين في تشريح الطبيعة حيث تغطت واختلطت آثار المراحل المختلفة لتطور العالم".

عام 1996 وفي خطابه للدورة السنوية للأكاديمية قال البابا جون بول الثاني: "المعرفة الجديدة قادتنا إلى الإعتراف بأكثر من فرضية في مجال التطور. ومن الملحوظ أيضًا أن هذه النظرية قد أصبحت مقبولة من جانب الباحثين بشكل مطرد، تبعًا لمجموعة من الإكتشافات في العديد من مجالات المعرفة".

وفي عام 1979 دعى البابا جون بول الثاني إلى تشكيل لجنة من المؤرخين، علماء الدين، وعلماء الطبيعيات، لإعادة تجديد البحث في قضية جاليلو، لأجل القضاء على حالة فقدان الثقة التي لا تزال هذه القضية تولّدها في عقول الناس، ولوضع الإشكاليات في طريق التعاون المثمر بين العلم والدين.

من بين اهتمامات الأكاديمية الحالية؛ التطور العلمي في مجال علم الفلك، العلاقة بين العقل والدماغ، والتطورات الجديدة في المجال الجيني. وثمة جزء كبير من أنشطة الأكاديمية مكرس لمناقشة التأثير الذي يمكن للعلم أن يمارسه على الحياة البشرية، حيث ينبغي الإلتفات إلى أن التطور السريع في المجال المعرفي والقدرات التقنية يطرح إشكالية في مجال العدل والمساواة. أغلب المعرفة العلمية يتم إنتاجها في البلدان المتقدمة والغنية، وهي البلدان ذاتها التي تتمتع بثمار التكنولوجيا الحديثة. الفجوة بين الأغنياء والفقراء تتسع، والفقراء يصبحون أكثر فقرًا وأكثر اعتمادًا على الأغنياء في حاجاتهم الرئيسية.

(4)

فرانسيس كولينز

نموذج بارز من العلماء المتدينين هو فرانسيس كولينز، وهو يمتلك رؤية عميقة حول دور العلم في الحياة الروحية للإنسان المتدين، ويعتبر أن مشكلة العلماء الملحدين هي ضعف منهجهم العلمي وقصورهم عن الإحاطة بالموجود الإلهي المطلق، وعدم توفر النص "العلمي" على إجابة لسؤال : لماذا ؟ فلسفة الوجود الضرورية للكائن الإنساني هي من وظيفة الدين حصرًا. يحمل كولينز دوافع قوية لمواجهة التيار الإلحادي ويبذل جهدًا في تلك المواجهة سواءً عبر التواصل المباشر أو الكتابة والتأليف.

يبحث مدير مشروع الجينات البشرية فرانسيس كولينز حول كيفية تعالق العلم مع المنظور الروحاني، وكيفية دمج الإكتشافات العلمية في مجال الجينات مع الإيمان بالله الخالق. ثمة كثيرون، بنظر كولينز، يدعون إلى ضرورة اتخاذ

اتجاه واحد من اتجاهين، إما الإيمان وإما العلم، وفي بلادي، يقول كولينز، الولايات المتحدة، فإن صوت الداعين إلى ضرورة هذا الحسم القاطع يعلو على صوت الداعين إلى إمكانية الوصول لانسجام ممكن بين الخيارين. هل يعتبر من الخطأ محاولة طرح الدين والعلم للنقاش في وقت ومكان واحد؟ ينبغي أن أعود إلى كلمات المسيح : "أحبب سيدك الله بكل قلبك، بكل روحك، وبكل عقلك"[1]. أليس القيام بالبحث العلمي هو طريق في حب الله بكل عقلك؟ لا يبدو في كلام المسيح كأن ثمة مشكلة بين الإيمان والعقل[2].

يشير كولينز إلى حوار جرى بينه وبين ريتشارد داوكينز، ويقدم لذلك بالحديث عن كتاب داوكينز **وهم الله**، الذي اعتبر فيه أن وصول داروين إلى نظرية النشوء والإرتقاء شكّل لحظة انتهاء الحاجة لتحديد الخالق أو المصمم، ولكن بنظري، يقول كولينز، ارتكب داوكينز خطأً جسيمًا عندما استخدم المنهج العلمي في اختباره لوجود المتعالي الروحاني. خلال الحوار جرى النقاش بين وجهتي النظر، وفي النهاية خضع داوكينز واعترف بارتكابه الخطأ المنهجي المشار إليه إلى حد ما، ولكنه قال بأن وجود هذا الموجود المتعالي الروحاني، الإله، سيكون أكبر بكثير من أي شيء يمكننا تخيّله، وهنا يقول كولينز، أكدت له بأن هذا هو ما يراه المؤمنون بالله بالتحديد.

يستكمل كولينز نقاشاته ليصل إلى نقطة هامة، حيث اعتبر أن خطأ العلم يكمن في إرجاع الأخطاء إلى الله، وخطأ الدين يكمن في تصوير الله على أنه منشغل دومًا بالتدخل لتصحيح الإختلالات القائمة في الخطة الأصلية. ويختم بالقول بأن نظرية النشوء والإرتقاء ليس لديها، ولا يمكن أن يكون لديها، الإجابة على سؤال "لماذا؟"، هذا السؤال الذي لا يستطيع العلم أن يجيب عليه، فهي مسألة على الإيمان أن يحلها.

(5)

المقاربة اليهودية

الجدال اليهودي الديني في مواجهة الإلحاد وسطوة العلم، ظل مغمورًا ولم يتم تناوله في أدبياتنا، ومن المهم إلقاء نظرة على طبيعة هذا الجدال، والمنحى الخاص الذي أخذه في مواجهة حالة العلمنة التاريخية التي اجتاحت الجماعات اليهودية. أحد الحاخامات يقدّم وجهة نظر في سياق هذا الجدال، حيث يعتبر أن العلم خضع في النهاية للنسبية المعرفية، وبالتالي فإن مقولاته لا يمكن لها أن تشكل معيارًا لمحاكمة النص الديني الذي يستند إلى المصدر الإلهي

[1] ماثيو 22:37

[2] Collins, Francis, *The Language of God, Scientific Insights into the Evolution of the Universe and of Life*, 2008, p 351.

الوحياني. مقاربة جذرية تستحق المتابعة والإلتفات إلى غاياتها ومقاصدها، خصوصًا عندما يستفيد الحاخام ديبوف من النظريات الحديثة لإثبات إمكانية المقولات الدينية التي كان ينظر إليها سابقًا أنها تناقض العقل العلمي.

الحاخام نيسان دوفيد ديبوف يقدّم مقاربة يهودية خاصة لإشكالية العلاقة بين العلم والدين، نشرت في مؤسسة شاباد، في مقدمته، يحاول الحاخام تلخيص محل النزاع بين النص الديني اليهودي ونتائج البحوث العلمية، ففي النظرة التقليدية للإنجيل، يحدد عمر الكون بخمسة آلاف وخمسمئة عام، وتم خلقه خلال ستة أيام. العلم الحديث أثبت أن عمر الكون هو عدة مليارات من السنين، وأن الإنسان تطور خلال مسار طويل. هل يمكن للإنسان أن يتبع التعاليم الدينية في حال أثبت العلم نكوصها وخطأها؟[1].

يتعامل العلم مع النظريات والفرضيات في حين تتعامل التورات، بحسب الحاخام، مع الحقائق القطعية. هنا ثمة مجالين مختلفين والتوفيق بينهما هو أمر خارج الإمكان بالكامل. في القرن التاسع عشر سادت نظرة تقول بأن العقل الإنساني يمكنه الوصول إلى اليقين اذا اتبع أساليب الإستقراء العلمي. في مقابل هذه المقاربة الدوغمائية والقطعية التي سادت في تلك الفترة، نشأت ثقافة اعتذارية بالكامل أنتجها المدافعون عن الدين وبعض الحاخامات الذين رأوا أن ليس ثمة طريق آخر للحفاظ على تراث التوراة في مجتمعاتهم "المتنورة" إلا من خلال إعادة تفسير بعض المقاطع في التوراة بشكل زائف وضعيف، لتوفيق تلك المقاطع مع الرؤية الكونية السائدة.

في القرن العشرين، وخصوصًا في العقود الأخيرة، توصل العلم للخروج من صورة القرون الوسطى، وتغيرت البنية العلمية بشكل كامل. القوانين العلمية المفترضة الثبات ومفهوم القطعية في العلم تم إلغاؤها، وحلت محلها النظرة الحالية "مبدأ عدم التأكّد". لم يعد هناك شيء ثابت في العلم بل فقط نسبي أو محتمل، والإكتشافات العلمية تعرض اليوم بتحفظ كبير، وبمصداقية محدودة ومؤقتة، كونها قابلة للتبدل في أي وقت بنظرية أكثر تطورًا وتقدمًا.

اليوم وبعد أكثر من ثمانين عامًا على نشر انشتاين لنظرية النسبية، ورغم تقبل العلماء لهذه النظرية في نطاق نشاطهم البحثي، يرفضون إدراجها في سياق النقاش الفلسفي، مفضلين دعم وتثبيت الأفكار القديمة حول القطعية العلمية. استمروا في تبني الأيديولوجية السابقة، وعارضوا التوراة بشكل أعمى.

في بداية القرن العشرين، افترض البرت انشتاين أن النور يمتلك هويتين في طبيعة تكوينه، بما يسمح بتواجد مفهومين متناقضين في موجود واحد. أحد أهم مبادئ التوراة هي أنّ الله قادر على كل شي، وأنه قد يجمع بين المتناقضات، وبذلك يمكن لهذه النظرية أن تضيء على كيفية اتحاد الله مع المخلوقات.

[1] Dubov, Nissan Dovid, *Are Science and Religion a Contradiction?*, Chabad.org

(6)

مقاربة مالداميه

الإتجاه الإيجابي التكاملي في النظر إلى العلاقة بين العلم والدين، يستند إلى وجهات نظر متفاوتة، إحداها ارتأت اعتبار النص الديني مرجعيةً في تحفيز النشاط العلمي والبحثي، وذهبت إلى موضعة الدين والعلم في إطار منظومة شاملة تكاملية وتفاعلية، حيث يقدم الدين والإيمان الإلهام للإنسان الباحث عن المعرفة، وتصطدم هذه المقاربة بإشكالية مركزية هي التعددية البشرية ووحدة الإلهام، غير أن المقاربة لا تسقط بفعل هذه الإشكالية، بل يجدر البحث عن حل لهذه المشكلة للوصول إلى إطار كلي شامل في النظر إلى الوجود الإنساني. هنا يطرق مالداميه باب الحل، لكنه لا يدخل إلى متاهته، ولا يأتينا بحل واقعي.

ثمة العديد من الصراعات ترتبط بالموقف الديني المستند إلى نص وحياني، موحى من الله أو من تراث مقدس، ويُظّن أنه المصدر الوحيد للمعرفة. هكذا يبدأ جان ميشال مالداميه، الباحث في الشؤون الدينية والفلسفية، مقالته المشاركة في كتاب للأكاديمية البابوية، والتي قاربت دور النصوص الدينية في إثارة حركة الاكتشاف العلمي[1].

يتابع جان مقاربته، فعلى المستوى الأكاديمي يرى في النصوص الدينية محفزًا للبحث العلمي، ومستوى من الثقة والتقدير لقيمة العمل العلمي. عديدون اعتبروا أن الميدان الديني والميدان العلمي ممتنعان تجاه بعضهما، ومحكومان للبقاء دون أي اندماج او تداخل. وبالنسبة لآخرين، فإن النص الديني ينبغي أن يتوافق مع الإكتشافات العلمية. بالنسبة للكاتب، فإن كلا التوجهين يعتبرهما غير مقبولين لا على مستوى وحدة الشخصية لدى الباحث العلمي، وكذلك على المستوى الثقافي وتاريخ الفكر. ولذا فإن بعض الأكاديميين يتخذون موقفًا مختلفًا: وهو التكامل الجدلي، على أساس أن الدين والعلم هما أجزاء من منظومة واحدة، بمعنى أنهما يتفاعلان بشكل متبادل ضمن إطار عملية تحترم طبيعة كل منهما.

يشدد الكاتب في نهاية المقال على أهمية مسألة الإلهام، وعلاقته بالروح الإلهية، وتأثير الإلهام في المعرفة والإكتشاف، وتصويبهما، وهنا يحيلنا إلى إشكالية مركزية في هذه المسألة، وهي أن الإلهام يقودنا إلى العنف، لأن

[1] Maldame, Jean-Michel, *How a Reflexion on the Inspired Nature of the Bible can Shed Light on Scientific Invention : an Epistemological Approach*, Paths of Discovery, The Pontifical Academy of Sciences, 2006, p 99.

ادعاء البعض بأنهم حصلوا على الإلهام من خلال نص وحياني وبأن هذا الإلهام هو الحقيقة الوحيدة، سيؤدي بكل فئة دينية إلى مخاصمة الأخرى. وهناك ضرورة حاسمة للتمييز بين الطائفة والدين، وهي قضية تتعلق بالسلام العالمي في الوقت الحاضر.

(7)

مقاربة التاريخ الأكبر

يهتم المعهد بمسألة تشتت المعرفة وانعدام الرؤية الكلية، العابرة للعلوم واللغات والثقافات والعصور، ويعتبر الوصول إلى الرؤية الكلية الجامعة المدخل لمواجهة الأسئلة الوجودية. إذن ينطلق السير هنا من الجزء إلى الكل الجامع، فلا بد من إيجاد خريطة طريق المشروع الإنساني التي تتموضع فيها كل السرديات العلمية والمعرفية ضمن فلسفة وجودية شاملة. المقاربة هنا تفاجئنا بحجمها ومدى تعقيدها، وعمق المشكلات التي تواجهها، فهي تطمح لتجسير العلاقات بين آلاف الاختصاصات العلمية المتنامية والمتزايدة بشكل مطرد، وهي لا ترسم طريقًا محددًا لمشروع التجسير هذا، وبالتالي ستترك الباب مفتوحًا كذلك على تعددية في استقراء وتلمّس الطريق الممكن أو الأفضل.

معهد Metanexus في الولايات المتحدة الأمريكية يبحث في توحيد الرؤية الكونية، حيث يعتبر المؤسس والمدير التنفيذي للمعهد وليام جراسي، أنه وعلى الرغم من تنامي كمية وتنوع المعرفة لدينا، فإن فهمنا للعالم أصبح أكثر تشظيًا. ويعتقد بأن هذا التشظي يشكل أساسًا للتهديدات المحدقة بالحياة البشرية وسلامة الكوكب. وهنا يقدم المعهد مقاربة جديدة لكيفية السير المعرفي فيما يتعلق بالكوكب، الحياة البشرية، والذوات الإنسانية[1].

إن التاريخ العلمي للبشرية يبدأ منذ 13 مليار سنة، منذ نشأة الكون وصولًا إلى الحضارة العالمية. هذه السردية الكبرى تخلط بين علم الفلك والفيزياء والكيمياء والجيولوجيا والبيولوجيا والأنتروبولوجيا والسوسيولوجيا والاقتصاد والتاريخ، في رؤية جامعة تطرق إلى تطور الكون، وتطور الحياة، وتاريخ الإنسانية. تتخطى هذه الرؤية كل الأمم، كل الثقافات، وكل العصور. هي قصتنا المشتركة والأصيلة لأنها تتخطى كل المناطق، الأديان، والإختلافات القبلية.

يطلق المعهد على هذه السردية إسم "التاريخ الأكبر"، ويعتبر أن هذا الإطار التاريخي الشامل يساعدنا في مواجهة الأسئلة الوجودية حول المعنى والغاية، الفضائل والقيم، بطريقة تحترم العلم، وتدعم التدين العقلائي، وتوجه المجتمع المدني. وفي سياق هذا التاريخ الأكبر يمكننا بشكل فعّال مناقشة وإيجاد حلول للمشكلات الكبرى المتعلقة

[1] Metanexus.net, William Grassie

بالطاقة والبيئة، الحروب والنزاعات، حقوق الإنسان والدولة الرشيدة، التقنيات الحديثة والنمو المستدام، التعليم والتنمية، الغذاء والسكان.

التاريخ الأكبر، يساهم في نظر المعهد، في مواجهة الأسئلة الكبرى بشكل بناء، تلك الأسئلة التي تتمحور حول المعنى والغاية، الجمال والخير، الحقيقة والتجاوز، العلم والمقدس. كيف يمكننا الإستفادة بشكل فعال من هذه المعرفة ومناقشة هذه الرؤى الجديدة؟ كيف تتكيف الأديان والثقافات الكلية مع هذه النظرة الكونية الجديدة؟ كيف يمكننا مناقشة الحروب الثقافية والصراعات الحضارية بشكل ناجح؟ كيف ينبغي أن نعيش ؟ وماذا يعني كل ذلك ؟

(8)

المقاربة الدينامية

تذهب هذه المقاربة باتجاه تسخير العلم والدين في خدمة الإنسان، فمن خلال تجسير العلاقات بين الأهداف الدينية والمفاهيم العلمية، يمكن تحسين شروط الحياة الإنسانية. الوصول إلى هذه العلاقة الدينامية يحتاج إلى نص ديني مثبت علميًا، وإلى روح معنوية تعطي للعلم غاية مقبولة. أي عبر تقديم كل طرف من المعادلة مع ما يحتاجه الطرف الآخر لكي يصبح كاملًا ومنسجمًا في نطاق خدمة الإنسانية.

معهد "الدين في عصر العلم" يحدد أهدافه بثلاث عناوين رئيسة:

1- تحفيز المجهود الإبداعي الذي يقود إلى تشكيل المبادئ والسلوكيات المعنية بتحسين الحياة الإنسانية في ضوء المعرفة المعاصرة.

2- تشكيل علاقة دينامية وإيجابية بين المفاهيم التي تم تطويرها من خلال العلم وبين الأهداف والآمال الإنسانية التي يعبر عنها الدين.

3- عرض القيم الإنسانية والمعرفة المعاصرة بتعبيرات عالميّة ذات مصداقية بحيث يمكن فهمها من قبل كل الشعوب مهما كانت خلفيّتها الثقافية أو تجاربها وتوفير قاعدة للتعاون العالمي[1].

يتشكل المعهد من مجموعة من علماء الطبيعيات، علماء الإجتماع، الفلاسفة، الباحثين في الأديان، علماء الدين، وآخرين ممن يعملون على تشجيع الحوار بين النظرات العلمية المعاصرة والأفكار الدينية والفلسفة العملية.

[1] Institute for Religion in an Age of Science

تعمل هذه المجموعة على التحقيق في العلاقات بين العلم والدين بهدف تدقيق الرؤى الدينية، وإغناء العلم بالمعنى، وتسعى للوصول إلى انصهار على المستوى المفاهيمي عبر اختبار الدين في ضوء العلم.

انبثق المعهد عن مبادرتين في منتصف القرن العشرين، المجموعة الأولى تكوّنت من العلماء من جمعية العلوم والقيم الإنسانية[1] التابعة للأكاديمية الأمريكية للعلوم والفن[2]، والمجموعة الثانية نشأت بعد الحرب العالمية الثانية عملت على إصلاح وإحياء الدين، خصوصًا كحافز للسلام والعدل. نشأ المعهد عام 1954.

(9)

الأكاديمية البابوية للعلوم الاجتماعية

الفاتيكان كمؤسسة دينية عالمية تنظر إلى المتدينين على أنهم رعية ينبغي أن تهتم بشؤونهم المختلة، رغم أنها لا تخطو في جغرافيا السلطة الزمنية، إلا من حيث الفكر والنظر، لا الجريان والعمل. ولذلك فهي احتاجت لتأسيس أكاديمية متخصصة في شؤون المجتمع، تدرس كيفية الإستفادة من العلوم الحديثة في تحقيق الأهداف الدينية للكنيسة في المجتمع، عبر تحويل الرؤى المثالية إلى برامج عمل واقعية وتطبيقية.

الأكاديمية البابويّة للعلوم الاجتماعية في الفاتيكان اتخذت منحى تشجيع دراسة العلوم الاجتماعية، الإقتصادية، السياسية والقانونية، لتوفّر للكنيسة العناصر التي يمكن أن تستعملها في دراسة وتطوير رؤيتها الاجتماعية. تعمل الأكاديمية كذلك على تطبيق هذه الرؤية في المجتمع المعاصر.

تهتم الأكاديمية البابوية بالعناوين التالية: العمل والعمالة، الديموقراطية، العولمة، التكافل الإجتماعي بين الأجيال، الأعمال الخيرية والعدالة، التضامن والتبعية، حقوق الإنسان، أزمة الإقتصاد العالمي، والحريات الدينية.

أربعة أسئلة تم طرحها في معرض تحديد مهمة هذه الأكاديمية:

- ما هي طبيعة، دور وأشكال عمل الأكاديمية في سياق العلوم الإنسانية والثقافة؟
- كيف يمكن للأكاديمية أن تقوم بإسهامات محددة في تطوير العلوم الاجتماعية؟
- كيف يمكن للأكاديمية أن تقوم بإسهامات محددة في تطوير المبادئ الاجتماعية للكنيسة؟

[1] Committee on Science and Human Values.

[2] American Academy of Arts and Sciences.

- كيف يمكن للأكاديمية أن تقوم بإسهامات محددة في تخفيف الفجوة القائمة بين الدول النامية والدول المتقدمة؟

اعتبرت الورقة التأسيسية أن على الأكاديمية أن تنمي دراسة العلوم الاجتماعية، ولذلك ينبغي أن تكون مستندة إلى مقاربة علميّة صارمة بما يتناسب مع مختلف العلوم الاجتماعية، وأن عليها أن تقدم للكنيسة العناصر التي تحتاجها لتطوير المبادئ الاجتماعية الخاصة بها، ولذلك يفترض أن تختار الأبحاث والمشاريع التي تتصل بشكل خاص بقضايا المبادئ الاجتماعية الكنسية.

تم التأكيد في تلك الورقة على أن من مهام الأكاديمية التركيز على القيم التي تشكل الأرضية المناسبة للأبحاث الاجتماعية النظرية والتجريبية. النتائج العلمية يتم تقييمها من منظور الخير للإنسانية، وبذلك يكون عليها أن تجري أبحاثًا حول القواعد الأنطولوجية للإجتماعي. هذا المنظور سوف يميز بين الإسهامات التي ستنجزها الأكاديمية وبين تلك التي ستقدم إليها من قبل المجموعات العبر مناهجية والمتعددة الجنسيات. من جانب آخر ينبغي الإضاءة على نقاط التمايز بين المبادئ الأخلاقية المتضمنة في المبادئ الاجتماعية الكنسية وتلك التي ترتكز إليها المدارس المختلفة في العلوم الاجتماعية حول "كيف ينبغي أن يكون المجتمع". وبذلك تكون الكنيسة في موقع أفضل بالنسبة للتمييز بين المعرفة الموضوعية والأيديولوجيا في العلوم الاجتماعية.

بعض المشاركين في الورقة التأسيسية للأكاديمية أكدو على ضرورة الإختبار الجاد للأسس الابستمولوجية الخاصة بالمبادئ الاجتماعية الكنسية، وبذلك يستكمل عمل الأكاديمية البابوية للعلوم، حيث يساهم في تحديد دقيق يميز بين نتائج العلوم الطبيعية وبين ما يعتبر استقراءً يتعدى تلك النتائج. هذه المنهجية في البحث ستموضع النقاش مع مختلف العلوم الاجتماعية في أعلى مستوى من الدقة التي تبتغيها الأكاديمية في عملها.

بعض آخر من المشاركين أكد على ضرورة إيجاد الحلول للمشكلات المعاصرة، ففي حين أن المبادئ الاجتماعية الكنسية لا تقدم نماذج متماسكة للحياة الاجتماعية، فإن بإمكان الأكاديمية أن تضع في أهدافها الوصول إلى تلك النماذج. وبذلك يتم تقديم الإجابات إلى الجمهور الذي يرى في المبادئ الاجتماعية الكنسية شيئًا شديد التجريد.

تعتمد الأكاديمية في مقاربتها للمشكلات التطبيقية على العبر مناهجية، وثمة تقسيم طبيعية للأدوار سيجد مكانًا له بين المجلس البابوي للعدالة والسلام، والذي يهدف إلى تقديم توصيات للكنيسة، وبين الأكاديمية التي ستحلل وتقيم المواد العلمية ذات الصلة[1].

[1] *The Study f The Tension Between Human Equality and Social Inequalities*, Pontificiae Academiae Scientiarvm Socialivm Acta 1, Vatican City 1996.